

# البريد الأدبي

نيتل ومشروع لتعليم الفلاح المصري

جون نيتل من أبنه الكتاب السويسريين ذكرا ، وأجهام لوبآ ، وأصدقهم فنا في نقل صور البلاد ، والقيام بتحقيقات بتأعية رائمة ، وقد تجلت موهبته لافي دقة الملاحظة بحسب ، في سحر أسلوبه وسلاسة عباراته ، بحيث تنفذ إلى نفس باري وتحدث في عواطفه أعمق تأثير

وما يدل أبلغ الدلالة على تفوق هذا الكاتب في فنه أنه رغم كونه سويسريا استطاع أن يثبت شخصيته أمام الأنجليز ، تمكن في روايته « الدكتور إبراهيم » من أن يدفهم إلى اعتراف بأن ثمرة تلميهم في مصر هوت إلى الحضيض ، وأن ستارم أصبح كابوسا لا يطاق لشعب نشر ألوان الحضارة المعرفة ، على حين كانت أوربا تنظ في ظلمات الجهالة بخلفات القرون

ويبدو لنا أن حالة الفلاح المصري أخذت تأثيرا عميقا في نفس هذا الكاتب ، وجملته أشد عطفًا عليه ، وأميل إلى أن ينقل لقراءه صوراً رائمة من أفكاره ومعتقداته وسوء حالته الميشية ، مع حث المصريين على تجهيز قوافل برية ونيلية تؤلف من متاحف صغيرة متحركة ، وتزود بالآلات للسبنا وأجهزة علمية لتغزو الجهل النفسي في القرى والديساكر وتقضى عليه قضاء مبرما

وانقد حدث من سنوات أن قام جون نيتل برحلة طويلة إلى صراكش حيث الاستعمار الفرنسي يرتع في بلد فطرى ، فأكاد يستقر هناك بضعة شهور حتى ثارت ثائره على مظاهر الاستبداد الفظيمة ، وكتب كتابه المشهور « صراكش وعبد الكرم » فغضب الفرنسيون لصراحته ، وأحدث ظهور كتابه شجة هائلة في الأوساط الاجتماعية والسياسية بفرنسا

وهذا هو وضع روايته الجديدة « الدكتور إبراهيم » عن

مصر وهو على ثقة من أنه سيستهدف لغضب الانجليز وتقمعهم ، وتبرم صحافتهم بصراحته ، لكنه لم يحفل بهذا كله ومضى يسرد الوقائع بين سطور كتابه ويصورها بريشة الكاتب الراقى الذى لا يخضع لسلطان سوى سلطان فنه ، غير عابى بالحملات الشديدة التى أعلت عليه ، ولا يخلف الانتقادات النارية التى استقبلت بها الصحافة الانجليز كتابه

غير أن هذا الكتاب العظيم صادف هوى في نفوس الأمبريكين الذين يشيدون بمظاهر العدالة ، فوجدوا شخصية جون نيتل وأفردوا لكتابته الفصول الطوال لانتين الأنتظار إلى مايجرى في الريف المصري من تفسى الأمراض والجهل الفاضح والوقوع تحت أنقال ديون المرابين الأجانب

ففي هذه القرى لا يصرف قرش واحد لنظافة البيوت والطرقات ونقل القاذورات وتجهيف المستنقعات ، حتى لقد تباغ الدرجة فيها أن تنق رمم الحيوانات ملقاة بين الساكن فتتجمع عليها أسراب الجوارح والذئاب وتتصاعد منها روائح خبيثة

وفي أسواق القرى لا يوجد صرحاض واحد ينى بحاجة من يؤمه من التجار الذين يضطرون لقضاء حاجتهم في أركان الأسواق لتبقى هذه القاذورات هدفاً لأسراب الفربان والطيور والكلاب وجامس الأحطاب ، أو تاتى بقيتها في الترع والقنوات . فالعمل على نجذب الأضرار الناشئة من الماء الملوث الأسن يجب أن يكون قبل تدبير الماء الصالح للشرب في القرى ، وهذا لا يتأتى إلا بإرشاد الفلاح إلى طرق النظافة ، وتوق الأمراض المدية ، ولن يكون لإرشاده إلا بتجهيز قوافل علمية تطوف بما كنه من وقت لآخر وتعمل على أن تنشل الفلاحين الساكنين من وهاد القذارة والجهل ، وتخرج بهم من الظلمات إلى النور

ولقد كانت المحاضرة التى ألقاها جون نيتل في مساء الأربعاء الماضى بقاعة بورت التذكارية تحت إشراف معهد جان جاك روسو

للأمة ، لأنه سيصبح في مصر طبقتان بينهما هوة عميقة  
الشباب المتعلم في المدارس العالية وفي معاهد أوروبا ، وجهو  
الفلاحين الذين يظنون بمقايمة اقرون الوسطى ويميشون نحو  
إرهاب أساليب عصور الظلام

### كتاب الذخيرة لابن بسام

نعرف أن لابن بسام الأديب الأندلسي الكبير أثرًا حافلًا من  
حياة الأندلس الأدبية والسياسية في القرن الخامس الهجري  
وهو « كتاب الذخيرة في التعريف بمحاسن أهل الجزيرة »  
والى أعوام قلائل لم نكن قد ظفرنا بمد يدنا بنسخة كاملة من هذا  
الأثر الحافل ؛ وكل ما انتهت اليه من نسخ مغربية وأندلسية  
ناقصة ، ولكن العلامة المستشرق الأستاذ ليفي بروفنسال مدير  
مدرسة الدراسات العليا في صراكش قد ظفر بمد البحث  
الطويل في إحدى مجموعات المغرب بنسخة كاملة من كتاب  
الذخيرة ؛ والأستاذ بروفنسال حجة في شؤون « المغرب  
الاسلامي » أعنى الأندلس والمغرب وله مؤلفات قيمة من عر  
اسبانيا والمغرب ، وقد نشر فوق ذلك طائفة نادرة من السكتب  
والوثائق عن تاريخ الأندلس والمغرب الأقصى : منها الجزء الثالث  
من كتاب البيان المغرب ، ووثائق عن ابن تومرت ( المهدي )  
وجزء من تاريخ ابن حيان . ومن مؤلفاته كتاب بالفرنسية عن  
أحوال الأندلس أيام الدولة الأموية ، وقد تألفت أخيراً لجنة من  
أفضل المستشرقين برباط العلامة المذكور لتقوم على طبع كتاب  
الذخيرة وتحقيقه وتذييله ، وربما شغل الكتاب أربعة مجلدات  
كبيرة ؛ وهو ينقسم إلى أربعة أقسام : الأول خاص بقرطبة  
وأعيانها ؛ والثاني خاص بقرطبة الأندلس وأعيانها وأخبار بني عباد  
والثالث خاص بأخبار بلنسية وأعيانها ؛ والرابع خاص بأخبار  
الجزيرة . ولدينا في دار السكتب من كتاب الذخيرة نسخة  
ناقصة تحتوي على قسمين منه فقط هما الأول والثاني  
وقد استفاد من كتاب الذخيرة كثير من العلماء المشتهرين  
بتاريخ الأندلس مثل دوزي وسبيولد ، وذلك قبل أن يوجد نصا  
كاملا ؛ والكتاب من أنفس آثار الأدب الأندلسي ، وقد كتب  
بأسلوب بديع ، وبه معلومات قيمة عن أحوال دول الطوائف  
خلال القرن الخامس الهجري ، وليس من ريب في أن نشره  
سيكون خدمة جليلة للتاريخ الأندلسي

للأمة بجزء ، تدور حول هذه المشكلة ، مشكلة إصلاح حال الفلاح  
المصري ورفع مستواه الاجتماعي مع المحافظة على تقاليد أسلافه .  
فذكر المحاضر بأن كل فكرة ترى إلى تعليم الفلاح بقصد انتزاعه  
من أرضه وتزوجه إلى المدن هي محاولة فاشلة ، فلوجب تشويق  
الفلاح إلى أرضه وتنمية مداركه وتوسيع آفاق فكره ومعارفه  
العامية ؛ فإذا أردنا مثلاً أن نرشده إلى الأحوال الجوية ومعرفة  
سير الكواكب كان علينا أن نزرده بعثة فلكية مكونة من  
محاضرين بارعين ، مزودين بسيارات بها آلات ومراسد فلكية ،  
فيحل أعضاء البعثة بقرينته يوماً أو بعض يوم ، ويجتمعون للفلاحين  
في مكان واحد ثم يلقون عليهم محاضرات بلغة بسيطة سهلة عن  
علم الفلك وحركة الكواكب والنجوم مع مساعدتهم على  
استيعاب هذه المعلومات بواسطة الجواهر الفلكية

وهب أننا نريد أن نلقى على فلاحى قرية كذا درساً في النظافة  
والصحة العامة ، فنوفد اليهم قافلة صحية بتحتفظها الصحى الأوف  
من نماذج مختلفة الأشكال ، وبأفلام سينمائية معها نشرات مكتوبة  
في اللغة العامية يستطيع الربون الذين يرافقون القافلة أن يتلوا  
منها نصائح عملية على جماهير الفلاحين المتشددين لاستقبالهم  
فالتعليم الحديث بواسطة القوافل الدلمية هو الوسيلة التي  
يرى اليها مشروع جون نيتل لرفع مستوى الفلاحين ، إذ لا فائدة  
ترجى من إنشاء المدارس لتعليمه مبادئ الحساب والجبر وقواعد  
اللغة والرياضة إلى جانب تزويده بالمعارف السامة وتنقيفه الثقافة  
الشمسية الصحيحة التي تساعد على تربية الجيل الجديد تربية  
خالية من الجود وشوائب الجهل

ونوه المحاضر بأنه لا يرى إلى أن يظهر في مشروعه مظهر  
من عمل إرادته ، ولكنه مشروع مفيد وضع بمد دراسات  
طويلة للتضامن مع الذين يهمهم رفع مستوى الفلاحين ، وتحسين  
أحوالهم مديستهم ، كأن أن تحقيقه على الوجه الأكل يقتضى عشرات  
الآلاف من الشبان المتعلمين أن يساهموا في إسداء هذه الخدمة  
الإنسانية الجليلة ؛ وإن في استخدامهم لهذا الغرض خللاً بجانب  
كبير من مشكلة الشبان المتعلمين ومكافحة الأمية في القرى  
والدساكر

وأهاب المحاضر في ختام محاضراته بأن في تناقل الحكومة  
وفي تركها الفلاح غارقاً في محيط جهله خطراً عظيماً على مستقبل

## بات جاك بانفيل

## أحرب أمم معلوم

نشر الكاتب الانكليزي الكبير الدوس هك-لي حفيد العلامة هكسلي مقالا عن مصير السلام يقول فيه إن لم يتم عام ١٩٣٦ سيكون عاما حاسما في تاريخ البشرية ؛ ذلك أنه إما أن يكون عام حرب أو عام سلام ؛ إما أن يستطيع الساسة فيه أن يحتفظوا بسلام أوروبا ، وإما أن تفلت الحوادث من يدهم وينحدر العالم إلى الحرب

والدول التي تسيطر على مصير العالم اليوم هي سبع : بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة والروسيا - وهذه في نظر الكاتب هي الدول «راضية» - ثم ألمانيا وإيطاليا واليابان ، وهذه هي الدول «غير الراضية» ، ذلك لأن الاحتكار الاستعماري والاقتصادي الذي تنجم به الدول الراضية قد اشتدت وطأته في الأعوام الأخيرة من جراء السياسة القومية التي تتبعها ، والنظام الجبركية والاقتصادية التي تنظمها ، لتوطيد تجارتها وسحق تجارة الدول الأخرى . والدول غير الراضية لها كل الحق في أن تنقم على الدول الراضية هذا الاستئثار ؛ ذلك لأن مستوى الحياة في إيطاليا وألمانيا واليابان يهبط بالتدرج ، وسيستمر على هذا الهبوط ؛ والحياة في هذه البلاد تنفدو كل يوم أشد وطأة ، حتى أصبحت ترى أن المغامرة بخوض الحرب أفضل من أي سلام مسكين تجنيه في ظل هذه الظروف التمهنة . وقد قامت في هذه الدول الثلاث حكومات تمد شعوبها بأن ترد بالقوة القاهرة عنها هذا الحيف ؛ فأما اليابان فقد انقضت على بعض أقاليم الصين ؛ وتجارل إيطاليا أن تفتتح الحبشة ؛ وربما أقدمت ألمانيا في فرصة قريبة على محاولة نيل الترضية اللازمة ، وربما كان ذلك على حساب روسيا أو أوروبا الوسطى

وقد شهدت السياسة الدولية تطورا عظيما في المبادئ ، وذلك بتطبيق مبادئ وإجراءات اجماعية «أخلاقية» ؛ ولكننا إذا أردنا السلام وجب أن نشدد في تطبيق هذه المبادئ اجماعية إلى حدود أخرى ؛ وإذا كانت إيطاليا تتبع سياسة غاشمة فذلك لما حق بها من الظلم ؛ وليس ثمة وسيلة واحدة لدفع هذا الحيف عن الدول غير الراضية سوى معادلتها ومعاملة دول أوروبا الوسطى بمعدالة

أشرنا في عدد سابق إلى وفاة الكاتب والمؤرخ الفرنسي الكبير جاك بانفيل . وقد قرأنا أخيرا في إحدى المجلات الفرنسية الكبرى فصلا عن الكاتب الراحل للعلامة المؤرخ أوكتاف أوبري الذي زار مصر منذ حين وألقى بها عدة محاضرات تاريخية شائقة ، يصف فيها تراث بانفيل التاريخي ويحل مواهبه وكفائاته كعُورخ وفيلسوف للتاريخ . وقد كان بانفيل قبل كل شيء كاتباً سياسياً ؛ وكان رجل جدل قوي يذود عن آرائه بيقين وحرارة ؛ وكانت نغلب عليه الروح الفلسفية في كتابة التاريخ . ويرى الأستاذ أوبري في كتابيه «تاريخ فرنسا» و«نابليون» أنرين جليلين يمتازان بقوة خاصة . وقد كان بانفيل ملكياً يؤمن أشد الايمان بالملوكية ونظامها وتقاليدها ؛ وكان يدافع عن عقيدته في هذا الوسط الجمهوري المضطرب بحرارة المؤمن ؛ ومن ثم كان رأيه في الثورة الفرنسية واعتبارها حركة دموية طائشة . وهو في هذا يتفق مع كتاب عظام ناصروا الملكية مثل لامرتين ؛ بيد أنه يفوقهم جميعاً في حرارة اخلاصه للملوكية وشدة وطأته على الثورة . ويعتبر الأستاذ أوبري كتابه من نابليون أفضل مما كتب عنه تايين وميشليه ؛ ويرى في كتابه «تاريخ الأجيال الثلاثة» صورة صادقة قوية من أحداث فرنسا وعظمتها ومواطن عظمها وضمفها منذ واقعة آرلو حتى معاهدة فرساي

بيد أن بانفيل يبدو في ذروة قوته كفيلسوف مؤرخ في كتابه الأخير ، وهو كتاب «الحاكمون بأمرهم» ، وقد استعرض فيه تاريخ الطفلة والطفان منذ المصور الفاربة ؛ ويدي بانفيل في بحثه وتحليله لخواص الطغيان والطفانة مقدره تطبعها رزاة خاصة ؛ ويرى أوبري أن أثر بانفيل عن الطغانة يجب أن يتبوا مكانه بجوار كتاب «الأمير» للفيلسوف الايطالي مكيا فيللي ، برغم أن بانفيل يهتدى في كتابه بمثل أخلاقية واجتماعية غير تلك التي يهتدى بها مكيا فيللي في كتاب «الأمير»<sup>(١)</sup> . ولتقدير الأستاذ أوبري لتراث بانفيل التاريخي أهمية خاصة لأنه يتبوا مكانة سامية بن مؤرخي فرنسا المعاصرين

(١) اقرأ تلخيص هذا الكتاب للأستاذ عبد الحليم الجندي في العدد

هائلة ، ثم تصف لنا ما طرأ على الحياة المصرية بمد الحرب الكبرى إلى يومنا  
وكتاب المس مابل طريف تجرد قراءته في هذه البلاد ، وإلا  
لم يكن يخلو من بعض نواحي التحيز والتجاهل التي قلما تجلو من  
كتب الأجانب ، وبخاصة الانكليز ، عن مصر  
الفوكلور المراكشي

تعتبر اليوم دراسة المعتقدات والمادات والتقاليد الشعبية من  
الدراسات الأثرية المفيدة في تاريخ الشعوب وتاريخ الحضارة  
وقد اهتمت هذه الدراسة وتقدمت في عصرنا حتى أصبحت تكوّن  
فرعاً خاصاً يطلق عليه « الفوكلور » أو دراسة المعتقدات  
الشعبية . ومن المؤلفات التي ظهرت أخيراً في هذا الموضوع  
كتاب للدكتور فرانسواز ليجي عن « الفوكلور المراكشي »  
وقد عاشت الدكتور ليجي في مراكش أعواماً طويلة ، ودرست  
المجتمع المراكشي دراسة مستفيضة ، ووقفت على معتقدات  
وتقاليد القديمة التي لم تنجح المدنية الفرنسية المفروضة في إزالتها  
معالمها ؛ وتناولت المؤلفات معتقدات الشعب المراكشي الدينية  
وعاداته الاجتماعية ، وما تداولته الأجيال منذ المصور الغابرة في  
شأن الخليقة وآدم والبر والبحر والحيوان والنبات والخير ، و  
الأساطير والأمثال السائرة ؛ وتسوق لنا المؤلفات أمثلة طريفة من  
هذه المعتقدات في شأن بعض الأشجار والأزهار فتقول : « إنهم  
يمتقدون أن بعض النباتات ليست من خلق الله ولكنها من خلق  
الشیطان ، وهذا شأن التبغ مثلاً ؛ وأما شجرة الكرم وشجر  
التين فقد حملهما آدم من الجنة ؛ وقد نبتت الورد وزهر البرتقال  
من دموع النبي ، ونبتت شجرة الرمان من الأزهار التي نثرتها  
فاطمة الزهراء ابنة النبي حينما علمت بموت ولدها الحسين  
والحسين » ، ويمتقدون أيضاً أن بعض الحيوانات كانت بشر  
ومسخت ، عقاباً لها على سيئاتها

والكتاب طريف في موضوعه وفي مباحثه وخصوصاً في  
بتعلق بتقاليد القبائل البربرية وعاداتها ؛ وفي مباحثه ما يلقى كثيراً  
من الضوء على المجتمع المغربي في تطوره المختلفة ، في ظل الوثنية  
والاسلام ، وما لا يزال حياً في معتقداته وتقاليد من تراث  
المصور الغابرة

ويرى الكاتب أن الحرب والسلام بيد الدول نفسها ، فإذا  
أصرت الدول الراضية على التمسك باحتكارها الاقتصادي الذي  
كسبته بوسائل غير عادلة ، وإذا حاولت أن تتساح حتى الذروة  
لتحتفظ به ، فإن الحرب واقعة لا محالة  
وأما إذا اعترفت الدول الراضية أن تسير طبقاً لمبادئ  
الأخلاق ، وهي في نفس الوقت مبادئ حسن التصرف ، فإن  
السلام يندو محققاً مكفولاً

### الحياة المصرية المعاصرة

ظهر أخيراً في انكليز كتاب عن الحياة المصرية منذ أواخر  
القرن الماضي حتى يومنا ، عنوانه « حياة في مصر » A Lefatine  
in Egypt بقلم سيدة انكليزية ، أنفقت طول حياتها في هذه  
البلاد هي السيدة مابل جايلد . ويتناول هذا الكتاب وصف  
الحياة المصرية منذ أواخر عهد اسماعيل حتى سنة ١٩٣٥ ؛ أعني  
خلال ستين عاماً . وكان والد السيدة مابل موظفاً في الحكومة  
المصرية منذ أوائل عهد الاحتلال ؛ وكانت مس مابل يومئذ فتاة  
ناشئة ، فقطعت حياتها الحافلة في هذه البلاد ، بين الاسكندرية  
ومصر ، وشهدت تطورات الحياة المصرية في هذه الحنية ، واتصلت  
بكثير من الشخصيات البارزة في هذا العهد ، ووقفت على كثير  
من الشؤون والمعلومات العامة والخاصة . وتقدم المس مابل  
في كتابها عن مصر صوراً ساحرة لهذا العهد الذي كانت  
الحياة فيه ما تزال ناعمة هينة ؛ وتصف لنا مدينة القاهرة والمجتمع  
القاهري في أواخر القرن الماضي ، حين كانت لا تزال في طور  
نشوئها العظيم ؛ وكانت لا تزال مدينة شرقية تحتفظ بكامل  
جمالها وسحرها الشرق الذي ما زال يعلل تخيّل الكتاب  
والسائحين ؛ وتصف لنا الاسكندرية في أوائل عهد الاحتلال  
وتروي لنا كيف كانت الحياة فيها أحياناً صعبة غير أمينة ، وكيف  
كانت محط الغامرات والمفاجآت السكرة

وتقدم لنا المس مابل صوراً ممتعة عن البلاط الخديوي في هذه  
الحقبة ، وعن الخديويين وعن أكبر سيدات الحرم الخديوي  
الذي اتصلت به المؤلف وعرفت كثيراً من رسومه ومظاهر الحياة  
فيه ؛ وتصف لنا الاسكندرية والقاهرة أيام الحرب الكبرى ،  
وكيف تحوت العاصمتان الكبيرتان إلى شبه محطة عسكرية